

## البحثري

في شمال الشام وعلى حدوده حيث يتصل بالجزيرة والموصل  
والعراق وعلى مجرى الفرات تقوم بلدة قديمة كانت فيما مضى مسرحاً  
لحادثات سياسية ومقاماً حربياً هاماً، هي منبج مقر قائد جندي الثغور  
الشامية التي تتصل بحدود المملكة البيزنطية النصرانية وعلى مقربة منها  
تقوم مدينة غربية صرفة أحدثها السياسة العباسية حتى اتخذها  
الرشيد مصيفاً تلك هي الرقة البيضاء وفي هذه الرقة التي لا تصلح إلا  
لمراقبة منبج مقر الثغور ومقر عبد الملك بن صالح كانت تجري  
أحداث ومناوشات ذكر بعضها التاريخ واغفل أكثرها وكان هؤلاء  
الشبان من العرب يتشوقون إلى الاطلاع على هذه المشاهد وأكثرهم  
تروقه هذه الفزوات ويستهو به هذا السلب الذي يكسبه من الروم وهم  
كانت هذه المفاداة بين الروم والمسلمين معرض قوة وجلد وتقوى  
فمن منبج كانت تخرج الجيوش لتسد هذه الثغور ومن الرقة كانت  
تصدر الإدارة القهارة وكانت الرقة تزدهي بمياه الفرات وتمتد على  
جانبيه وتورق ظلال أشجارها الباسقة وحدثها الغناء حتى كانت  
تتصل بالرافقة فتسمى بالرتين وكأنها كانت الجنة الجميلة بعد تلك  
الصحراء القاحلة التي تتصل بالجزيرة العليا.

أما منبج فكانت بلدًا جميلاً كما يقول عبد الملك بن صالح « برة

حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء في فياف فيح بين قيصوم وشيخ»  
وهذه الفيافي الفيح هي التي هدت هؤلاء الطائيين نجاءً وها من قلب  
الجزيرة وعمر وها فهم في حاضرة وبادية مما والقيصوم والشيخ من  
صفات البوادي ويسكاد هؤلاء الطائيون يكونون كل شيء في منبج  
فمنهم الامير ومنهم القائد ومنهم الملاك ومنهم القاضي ومنهم المؤذن  
واذا قلنا منبج فاننا نفي هؤلاء الاعراب الذين يروحون ويحيثون او  
يحضرون ويبدون وهذه القرى المبتوثة في جوارها تمد معينا اذا نضب  
وترفد جيشها اذا اصيب ولم يكن هذا الجيش يقتصر على رد هجمات  
الروم او مهاجمتهم في الثغور بل كان يضرب به اقصى اطراف المملكة  
المتدة الارحاء فهؤلاء بنو حميد الطوسي زاعم في البذوارشق يدفعون  
الخرمية وبعضهم يستشهد في اوديتها وتحت حصونها المنيعة وهذا محمد  
بن يوسف الثغري يضرب في قلب الصحاري حتى يصل الى بني ربيعة  
فيقوم اودها وبسيدها الى حمى الخلافة . هؤلاء الابطال المغاوير حماة  
الخلافة في غصون مائة سنة كان مقرهم منبج وكانوا يجوبون جوارها  
وهذه القرى والمدن من الرقة الى رأس العين الى نصيبين الى الموصل  
كانت مراعيهم وكانت حمام المنيع ومنتقلهم المرغوب واذا عن لنا بهم  
ان زوروا الحاضرة فهذه حلب اقرب ما تكون لهم والا فهذه بغداد  
قبلة آمالهم ومحط رحالهم

في سنة ٢٠٤ للهجرة ابصر النور في منبج ولد يكاد يكون ابوه  
مجهولا فسمي الوليد وهو ابن عبيد بن يحيى المعروف في التاريخ  
بالبحثري ومع تنقيب الادباء والمؤرخين عن هذا الاب ومع مباحاة

البحثري بآبائه وتهديدهم لم يكن لهذا العبيد من ذكر . اما امه فكانت من ربيعة وقد باهى بهذه الخوولة ولا يمكن البت بانها امه لان الامهات عند العرب فيهن الجدات ايضا فهذا نسب باهى فيه البحثري بمجوده من الجن في طي و خوولته من عدنان في ربيعة فكانه ضم اجداد العرب وهي ماله غزيرة في الفخر يمكن لشاعر كالبحتري ان بنوعها ويستثمرها ويتفنن في اظهارها

اما من هم اخوانه وكيف كان مقامه منهم ومن اخوانه فالبحثري ضنين يكشف خفاياه خلافا لابن الرومي معاصره ولا يمكن ان نستفيد ما يعني من قول صاحب الاغاني انه كان له اخ يجيمه ويبخل عليه .

لم نعلم بالتحقيق كيف كان يعبد هذا الفتى المغمور في منبج وجوارها ومحدثنا بعضهم انه كان يقول الشعر وهو صغير ومعلوم ان الشعر وان كان مظهر عبقرية يحتاج الى درس والى اطلاع ولا يعوز بيئة الشام وبيئة منبج خاصة من مجال واسع لهذا الدرس وهذا السماع وهذا القدو الى مسجد منبج حيث رفع جده فيه الاذان لأول مرة كما يدعي البحتري انما اللهجة التي قال فيها الشعر وعموده كما يصرح اكتسبها من اعرابها وخلصها ومن المعلوم ان طيئة لم تؤخذ لغتها لمجاورتها السريان فكان عليه ان ينتقل من قبيلة الى اخرى ويفترف حيث يجد ولكنه لم يكن يترك منبج في هذا العصر بل كان يقدو ويروح ويمدح باعة البصل والباذنجان كما يقول مؤرخوه وهذا المراس وشدته في اول الامر يقوم به اود الوليد ونحن نجول في ديوان البحتري وهو المعين الحقيقي لمعرفة فتراه يركب شأن شبان العبيدين

الطائيين مع اميرهم وينزرو الروم او يرافق الغزاه وقد وصف هذا  
المشهد بانه عجيب او اعجب منظر وانه كان يوم حلب ويشتل في قراها  
وان احدى هذه التنقلات قاده الى قرية بطيخاص فزأى لأول مرة  
فتاة غسالة او ابنة غسالة اراقته جداً وشغلت حياته وخلدت بشعره وردد  
حبها في مختلف ادوار حياته تلك علوة التي - لا بيت الا وتار تخفرها -  
واكثها مع ساجيتها وخفر بنات القرى اخذت باكبر نصيب من شعر  
البحثري وهذه حلب وقويتها ( بالطبع غير هذا القويق اليوم ) قد  
برز في شعره الاولي ولا نبعد اذا قلنا اننا لم نجد شعره في هذه الحقة  
فالبحثري ضنين بهذا الشعر وهو كل ما يباهي به وقد جمعه بنفسه ونقحه  
بلا خلاف فحذف منه مالا يلائم الجودة وضاع بهذا الحذف حقة جميلة  
من حياة البحثري الوليد الشريفة التي كانت تضرب من نصيبين الى  
حمص وربما الى جنوبها فهذا الشعر الذي نال به اول جائزة يجب ان  
يتوج به الديوان ولكن بالاسف ضاعت هذه القصيدة التي تواترت  
الروايات انه مدح بها امراء المعرة بوسية ابي تمام ولا تجدها  
في ديوانه وان ما غلط به كاتب دائرة المعارف الاسلامية في مادة البحثري  
من ذكر قرية النعمان كانت غير المعرة كانت في زمن رجولته  
او اكتهاله .

تلك حقة من الدهر لانعلم عنها الا الحدس والتخمين ولا نطمئن  
الى رواية الا عندما اصبح في العشرين يقول المديح الجيد كمدح محمد  
ابن يوسف الثغري وبني حميد وامثالهم من هؤلاء الامراء الطائيين  
حتى تحط رحاله في بغداد وهي آخر المطاف عند هذا الشاب البعثري

وهو ولا شك جعل ينشر قصائده ومدائحهم بين السوقة حتى تودل  
الى نديم الخليفة علي بن يحيى المنجم وهو اديب وشاعر ويحب الادباء  
ويقول البحتري :

مشاكلة الآداب تصرف همتي اليه وود بيننا متقدم  
وجعل هذا يسوفه وبعده بان يقدمه الى الامراء والخليفة ولكنه  
لم يستطع او كان لا يجد ما يشفع بجرأة هذا الشاعر المتحفز لدور الخليفة  
ولما لم ينل اربه جعل يتقرب الى الوزراء والامراء واخيراً أتى بغيته  
في دار الخليفة المتوكل وهو تربة وقد وافق هواه فهو مع وزيره  
الفتح بن خاقان يرميان الى سياسة جمع كلمة العرب والخروج من العراق  
الى ضم جميع الاحزاب او التهرب من حزب بغداد وشيعته وهذا  
شاعر شامي واهل الشام يرمون الى هذه السياسة يقف البحتري منشداً  
فيروقه جداً فيقال له ما كنيتهك ؟ وهذا سؤال يشرف فيجيب ابو  
الحسن وما للبحتري الشاعر الشامي وكنية ابي حسن [ كنية علي  
ابن ابي طالب ] فيقول تكن بغيرها فلا يليق بشاعر المتوكل ان يكون  
ابا الحسن فليكن ابا عبادة وليعرف بها وليغد ويرح على باب المتوكل  
وعلى باب الفتح وليجلس هذه المجالس الخاصة وليكن الغريب اديباً  
فلا يتعرض لما لا يهم الخليفة وليبعد عن الاحزاب ما استطاع فما حظه  
الا حزب الخليفة وليس هواه غير هواه والمتوكل يقربه ويعطيه ولكن  
لا يرويه وقد اعداه فالبحتري علي بن خايقة يشرب ويسرف ولكن الاموال  
لا تؤاياه فلا يستطيع ان يكون الا كما يريد الخليفة ثم تكون الحزبية  
في القصر ومنها تمتد الى الحاشية والى الوزارة والامراء وماسبهم

الإلا تعدد اولياء العهد وكانوا ثلاثة بالترتيب كما ارادهم المتوكل المنتصر ثم المعتز ثم المؤيد ومن يغاب القدر او من يصبر لاحكامه ومارفعة اخدم الاموات الاخر او اذلاله وكان من السياسة الواقعية ان ام المعتز قيحة تسير على ارادة الخليفة وبالتالي يسير على ارادتها وتقع الواقعة وينقسم القصر حزبين فيكون المتوكل متعصبا للمعتز ويكون المقربون يقولون بقوله ويكون ولي العهد الحقيقي المنتصر متأمسا من هذه الحال ويكون حزبه بالطبع على غير هوى الخليفة وهل كان ذلك غير هؤلاء الطالبين ومن هم في حزبهم وهل البحثري الا في حزب المتوكل وعلى الطالبين وان دافع عنهم بعض الشعراء السخفاء الذين كانوا يتقربون الى الخليفة بسبب الامام علي وشيعته ثم تقع الواقعة ويسبق حزب المنتصر حزب المعتز او حزب الخليفة ويقتل الخليفة المتوكل ووزيره في آن واحد وينال البحثري نصيبه ضربة في ظهره بقيت اثارها طول حياته فثور ثأرته وينشد قصيدته الرائية التي قيل عنها انها ابلغ قصيدة هاشمية وبالطبع يهرب من دار الخلافة ولكن الى ابن؟ ويكون وقت الحج فتراه يحج تقية وسياسة ويعود من الحج وقد استتبت الامور واصبح الخليفة المنتصر الذي كان يسبه زمن ابيه قد كسب ود الرعية وصفح عن اعدائه وعن حزبهم وبالاخرى ضرب حزب المعتز ضربة قاصمة وكان له ما اراد فترى البحثري يعود الى دار الخلافة ويمدح الخليفة ويسير على هواه ويهجو وزيره ابن الخصب لما غضب عليه الخليفة .

ثم لا يلبث الخليفة ان يموت بعد ستة اشهر من مبايعته ونرى

الجند واهد الدولة يبايعون لابن اخي المتوكل باسم المستعين وهنا  
تكن النار في الرماد فابن حزب المعتز وحزب قبيحة وكيف رضوا  
بان تسير الامور في غير مجراها اليس المعتز بعد المنتصر فمن اين جاؤا  
بهذا المستعين ولكن لا بد للاصافة من هدوء واستوى المستعين في  
خلافته ورأينا البحتري شاعر الخلافة ايضا بمدحه ويعدد مآثره ولكنه  
يبعد عن الحزبية اذ علمته تلك الضربة ليلة المتوكل ان يكون محترساً  
متحفظاً ثم يتحدى المستعين في سياسته الخاصة ويبحث عن قتلة المتوكل  
فيعتص منهم وان لم يكن بمحاكمة ثم يضيق على جنده من الموالي  
بالاموال والاموال عند قبيحة وحزب المعتز فتهتز الموالى الاثراك  
بالثورة فترى المستعين ينزل الى بغداد من سر مرا وهناك يعتم بمها  
فيخطبه الاثراك بالعودة فيسوف ويؤجل واخيراً ينادون بالثورة  
ويبايعون المعتز في سر مرا فيصبح خليفتان في وقت واحد المستعين  
في بغداد والمعتز في سر مرا وتكون الحروب وتكون الاهوال وتنتهي  
بنفوز المعتز وحزبه وقتل المستعين ورجوع الخلافة الى سر مرا فابن كان  
البحتري في هذه العمرة وهذه الاهوال ؟ يحدثنا التنوخي في نشوار  
المحاضرة انه كان مع هؤلاء العقلاء نظير صديقه ابي معشر الفلكي في  
نجوة من هذه الاحزاب وانه قد زار المعتز في السجن عندما كان  
المستعين في سر مرا وانه مدحه وان ذلك كان برأي المنجم وانه بعد  
ان آلت الخلافة الى المعتز زاره البحتري ونال اكبر جائزة طمع بها  
وهي ستة آلاف دينار وبها اقتنى ضيعته دار السقيا في منبج .

وبالحقيقة ان هذه الحقبة وهي اربع سنوات كانت اخصب حياة

البحثري شعرا وادرها عليه مالا فقد اصبح خدن الخليفة والخليفة ابن قبيصة شاب في مقتبل العمر يحب الحياة ويحب مجيها يشرب ويسرف ويركب وينعم والبحتري ينال منه كل نوال ولما قتل المعتز رأينا البحتري اصبح شاعرا عاديا فقد مدح خليفته المهدي الناسك ومن بعده المعتمد واخاه الموفق القائم المغوار وكل هؤلاء العمال والوزراء والقواد ولكن هذا المدح كان عاديا وفي اواخر زمن المعتمد رأينا البحتري في منبج دار استقراره يعيش عيش الاثرياء ويضحك من هؤلاء العمال في الديار القاصية عن دور الخلافة ويضحك من نفسه عندما يجدها تصافح هؤلاء الزعانف .

أطلب انصاراً على الدهر بعدما نوى منهم في التراب اوسى وخزرجي  
مضوا انما قصدا وخلفت بعدهم اخاطب بالتسامير والي منبج  
وختم حياته في منبج ومات موت هؤلاء المدمنين مات بداء السكنة  
وقد نيف على الثمانين سنة ٢٨٤ هجرية .

## قذارته

في الاغاني وغيره انه كان قدراً من اوسخ خلق الله ثوبا وآلة  
سي الانشاد يتشادق ويستزاور في مشيته مرة جانبا ومرة القهقري  
ويهرز رأسه مرة ومنكبيه اخرى ويشير بكمه الخ ...

من اعجب ما مر بي ان ذا العيب يبحث عنه في غيره ويلصقه به  
وان كان بريئاً منه ، فهذا الاصفهاني كما في ياقوت وغيره كان قدرا  
وسخاً بخيلا وتراه دائما ينسب هذه الخلال الى الشعراء والادباء ويتمتعها  
فيهم كأنه بذلك يصدق قول الشاعر :

لحنا معرب واغرب من ذا ان اعراب غيرها ملحون

كيف يكون البحتري وسخاً قدراً وهو جلس الخلفاء والعظماء  
من يقبل منهم في مجلسه مثل هذا فضلا عن ان الرواية لاتصدق الا  
اذا زكيت بشعر وصدق قول ولا عبرة بان تكرر في كتب فقد اخذ  
عن الاغاني كل من جاء بعده ولتعد الى الحقيقة التاسعة فهذا البحتري  
تقول في ازهر عصوره عصر المتمر يخاطب الخليفة:

حملت على عشر من البرد مركبي      عجبالا عليهن الشكيم المخلق  
واكثرت زادي من بدور متابعت      لجودك فيهن اللجين المطرق

ومنتسبات للوجيه ولاحق كيت يسر الناظرين وابلق  
 ومن لبس فازت بلبسك فاغتدي لها ارج من طيب عرفك يعبق  
 عليها رواء من حمائل مرهف صقيل يرد الطرف عنه فيزلق  
 فمن كانت ثيابه لباس الخلفاء يعبق منها الاريج كيف تكون  
 وسخة قدرة ، وهؤلاء الشرب ومنادمتهم لها لباس خاص كافي كتب  
 الادب والتاريخ كيف يصبرون على مثل هذه الصفة في الاغاني ؟

اما الشق الآخر وهو سوء الانشاد فالرواية في الاغاني عن جحظة  
 عن الصيمري وهذا الصيمري ومثله عباسي اخر يعرف بابي العبر لها  
 حوادث واقوال ينبو عنها الادب وقد استثمروا الرقاعة وكانت لها  
 سوق رائجة فاذا روي الصميري فروايتة محدودة وخصوصا انه غلب  
 البحتري وأخجله ولا يبعد ان يكون حدث مثل هذا عند الخليفة  
 مادام من مناديه مثل ابي العبر والصميري ولكن الاقوال التي  
 تؤدي في معرض الهزل والرقاعة لاتصلح مرجعاً لتاريخ ولا تقرير  
 حقيقة .

## مخله

وكما يقال عن زراية لباسه يمكن ان يقال عن بمخله ويدحض  
هذا القول انه من الذين يشربون ويسرفون وما اجتمع الشراب والبخل  
لاحد وفي الديوان ما ثبت خلاف هذه الرواية بقول البحتري من  
قصيدة في المتوكل :

من شاكر عني الخليفة في الذي      اولاه من طول ومن احسان  
حتى لقد افضلت من افضاله      ورأيت نهج الجود حيث اراني  
ملاأت يداه يدي وشرد جوده      بخلي فافقرني كما اغناني  
ووثقت بالخلق الجميل معجلا      منه فاعطيت الذي اعطاني

وقد كان ذلك ديدنه وقد اعاده في مديح الفتح وزير المتوكل :  
قد قلت اذ اخذت منع الحقوق واذا حملتها جأراً فيها ومقتصد  
هن الامير مجيد في تفضله      فمنجز لي في الالف الذي وعدا  
اعن على كرم اخي على نسي      وهمة اخلقت اخلاقي الجوددا  
(وفي الروايات انه لم يكن يدخر من هذه العطايا شيئاً فقد روى  
القاضي التنوخي في نشوار المحاضرة الجزء الحادي عشر ان المعتز  
بعد ما استتبت له الخلافة ودخل عليه البحتري وانشده اعطاه ستة الاف  
دينار وقال له والرواية لسليمان بن الحسن بن مخلد عن البحتري

وكأنني بك وقد بادرت فاشتريت غلاما وجارية وفرسا فاتلفت  
 المال لاتفعل فان لك فيما تستأنفه من ايامك معنا ومع وزرائنا واسبابنا  
 اذا علموا موقعك منا غناه عن ذلك الخ... منه يتضح ان البحتري  
 كان مشهورا بالتمبذير لا يبق على المال وكيف يجتمع البخل والتبذير  
 الا في رواية موتور .

## نخاسته

وفي الاغانى انه كان له غلام يسمى نسيما وكان غلاما روميا ليس بحسن الوجه قد جمه له بابا من ابواب الحيل على الناس فكان يبيعه ويعتمد ان يصيره الى ملك بمض اهل المروءات ومن ينفق عنده الادب فاذا حصل في ملكه شرب به وتشوق اليه ومدح مولاه حتى يهبه له فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفى الناس امره هذه رواية مشهورة وتنقل برغبة لما فيها من الطلاوة والغرابة . شككت جداً في امر هذه الرواية ولم استطع دحضها حتى وقفت على كتاب عبدالله بن المعتز المسمى طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء وقد نشره عباس اقبال على نفقة لجنة جب التذكارية فاذا فيه قطعة نفيسة مختصرة تفي المطلوب وكان عبدالله أعرف الناس بالبحثري وكان معاصرة وقد مدحه البحتري وكان شاعر ابيه المعتز فاراد ان ينصف شاعر الخلافة ويدحض عنه مثل هذه الفرية قال:

اسمه الوليد بن عبيد ويكنى ابا عبادة . حدثني علان بن محمد قال هجا البحتري ابا الفضل بن الحسن بن سهل فتركه اياما واظهر قلة المبالاة والاهمال لهجائه ولم يظهر الموجدة لذلك . حضره يوما فقال له يا ابا عبادة تبغني غلامك نسيما فقال كيف ابيعك من لو فارقتك ساعة فارقتي روجي فقال اعطيك به رغبة فقال وكم تعطيني قال اعطيك

الف دينار قال لا افعل قال اعطيك النبي دينار فقال له احضر المال  
فباعه وتسلمه أبو الفضل فامر للبحثري يوم حتى قامت قيامته وندم  
فوصل غدوه برواحه الى باب ابي الفضل يسأله الاقالة وهو يأبى عليه  
فلما عيل صبره كتب اليه :

ابا الفضل في تسع وتسعين نمجة      غنى لك عن ظبي بساحتنا فرد  
أأأخذة مني وقد اخذ الجوي      مأخذة مما اسر وما ابدي  
وتخطو اليه صبوتي وصباتي      ولم يخطه بشي ولم يعده وجدي  
وقلت اسلم عنه والمنية دونه      وكيف سلوا ابن المفرغ عن برد  
وابن المفرغ شاعر كان له غلام اسمه برد فباعه وندم وله فيه  
اشعار كثيرة فقال ابو الفضل ابيعكته بجميع ماتمك فقال له افعل  
فباعه بجميع ملكه واشهد عليه ورد الغلام اليه فلما كان من الغد رد  
عليه الكتاب واقاله من جميع ذلك وحمل اليه صلة وقال له اياك ان  
تهجو الاحرار فان لهم مكاييد يضل فيها هجوك ومدحك هذه رواية  
ابن المعتز اثبتها بحروفها وفي الديوان ما يتبت هذه الرواية ويركي قول  
صاحبها فقد هجا البحتري ابراهيم بن الحسن بن سهل المكنى ابا الفضل  
بهذه الابيات

ابا الفضل انت فتى فارس      لك الشرف الخسراني كله  
اراك تحرم لحم الجزور      ولو قام الف نبي بحمله  
ولغضب للفيل ان ازاقوه      ه لان الاعاجم كانت تجله

وكانت بين البحتري وابي الفضل مودة وقد مدحه كثيرا ولم  
يوجد في الديوان ان البحتري يبيع نسبا غير ابي الفضل هذا واقتصار  
ذكره على هذا مصداق لقول ابن المعتز

## خلقه

أما وقد دفعنا عنه هذه الفرييات فما علينا إلا أن نذكر الوجهة الإيجابية من أخلاقه وأولها وأشرفها حسن الوفاء وفي كتب الأدب ما يجتمع مع الديوان على صدق هذه الخلة ونسبها إليه .

قيل للبحثري أن رثاءك لمحمد بن يوسف وآله خير من مديحهم قال ذلك طبعي فأننا كنا نمدح للرجاء واليوم نرثي للوفاء ومن تمام الوفاء أن تفضل المراثي المدائح ومن المعلوم أن الوفاء يوافق طبع الشاعر المطبوع فلو كان لثبها لكف عن الوفاء ولا مطمع في رجاء منهم .

ودونك حادثة نادرة للشعراء وخلاصة: أن البحتري نزل على أحمد بن علي الأسكافي فمدحه فلم يشبهه فبهجاه ثم عاد فبهجاه واستتبع فبهجا ابن ثوابة الكاتب فما كان من ابن ثوابة إلا أن بعث إليه بالف درهم وثياب ودابة بسرجهما ولجامها فرد الجائزة وقال ( قد اسلفتم أساءة لا يجوز معها قبول رفقكم ) فكتب إليه كتاب كاتب واضعف له الجائزة فأخرجه فقبل الجائزة ومدحه بليغاً بماطقة شكر .

وله من المواقف المشرفة ما يرفع رأس كل شاعر

هذا شري هاشمي يسمي طاهر بن اسماعيل بن صالح كان في حلب ومن أشرفها فمدحه البحتري وكان هذا مع شرفه ادنيا ظريفا شاعرا ولم نجد بكل أسف قصيدة البحتري في الديوان إنما يقول البحتري أنه

بعد ان مدحه باع بيته بثلاثمائة دينار وبعثها اليه وكتب له هذه الايات  
لو يكون الجباء حسب الذي انـ تـ لـ دـ نـ يـ لـ هـ مـ حـ لـ وـ اـ هـ لـ  
لحيت اللجين والدر واليا قوت حثوا وكان ذاك يقل  
والشريف الظريف يسمع بالعد ر اذا قصر الصديق المقل  
يقول البحتري فرددت عليه الدنانير وزدتها خمسين ديناراً  
واجبته بهذه الايات

بابي انت انت للبراهل والمساعي بعد وسميك قبل  
والنوال القليل يكثران م شاء مرجحك والكثير يقل  
غير اني رددت برك اذا كان م ربا منك والربا لا يحل  
واذا ماجزيت شعراً بشعر يبلغ الحق فالدنانير فضل

وان شاعر يرد جائزة كرم ويزيد عليها من ماله الخاص فهو  
شاعر غير ما اراده الاصفهاني ولو جئنا نتبع هذه المواقف من البحتري  
لادراكنا كيف كان له المقام الاول بين شعراء عصره باحترام .

هذا الحجل وهذا الحياء من الرذيلة مع ما كان عليه من الشره  
في حب الدنيا يرينا كيف تغلب البحتري على جميع شعراء عصره  
وكيف احتكر جوائز الكرام .

## صلته بابي تمام

صلة البحتري بابي تمام؛ صلة قرني واستاذية. اما القرني فتجمعهما طي وان كان ابو تمام من جنوبي الشام والبحتري من شماليها وكلاهما قروي اغرم بحب البادية ونخر بالطائفة وانكن البحتري عاش بعد ابي تمام ما يقرب من خمسين عاما وهي عمر الشاعر الحقيقي. كان ابو تمام المعلم الفرد في ربوع الشام وفي دار الخلافة لما كان البحتري صبيا ناشئا. وكم خطر للبحتري ان يرى هذا الشاعر الطائي الذائع الصيت، وكم ود ان يكون امامه المبتدي بامه وقد بلغ غايته وليس على المجتهد شي بمسير فقد لقيه ولكن اين؟. يقول بعضهم في حمص وكانت الشمراء تمرض شعرها على ابي تمام فانشده البحتري فاعجب بهذا الشعر الجديد وبعد ان سألته عن نسبه وعن نشبه بعث بكتاب الى اهل معرفة النهمان يذكرون نصه :

« يصل كتابي على يدي الوليد بن عباده وهو على بذلذاته شاعر  
فاكرموه » .

وظاهر ان كلمة ابن عبادة غلطة نسخ فلم يكن الصولي الذي روى هذا الحديث بجاهل ان الكنية هي (ابو عبادة) وانهم اكرموه واعطوه اربعة الاف درهم وهي اول جائزة نالها .

والرواية الثانية انه لقيه عند الامير محمد بن يوسف الطائي وان  
البحثري دخل على الامير فانشده قصيدته :

أفاق صب في الهوى فافيقا      ام خان عهدا ام اطاع شفيقا  
فلما اتم انشادها قال له احسن الله اليك يافتي فقال ابو تمام هذا  
شعري علقه هذا انفق فسبني اليه فتغير الممدوح ولام البحتري فقال له: هذا  
اعزك الله شعري فقال ابو تمام سبحان الله يافتي لا تقل هكذا ثم انشد  
ابو تمام بعض ابيات القصيدة فقال الامير للبحتري نحن نبلغك ما تريد  
ولا تحمل نفسك على هذا الامر فخرج البحتري متحيرا لا يدري ما يقول  
وقصد ان يسأل عن ابي تمام من هو واذا بالممدوح قد استرده اليه  
وقال له جنينا عليك اتدري من الرجل فقال لا قال هذا ابن عمك  
حبيب بن اوس فقم اليه فقام اليه البحتري وعانقه ثم اقبل عليه ابو تمام  
يصف شعره ويمدحه وقال له ، انما مزحت معك فلزمه البحتري بعد  
ذلك .

ونحن نميل الى هذه القصة لان قصة معرة النعمان ضعيفة واهنة  
فما راينا شاعرا يمدح اهل مدينة بل يمدح اميرا يعينه او امراء آل  
بيت ولم نعرف من كان اهل معرة النعمان في هذا الزمن الا انهم  
مشايخ من آل سليمان بن عبدالله جدود المعري ابي الملاء وعلى كل حال  
فلم يرد ذكرهم في شعره وقد جمع البحتري شعره فاما ان يكون شعره فيهم  
سخيفا لا يرضى عنه — وقد رضى ابو تمام — فاهمله وترك كل هذا الحديث  
او تكون هذه الرواية موضوعة .

اما الرواية الثانية فتصدقها القصيدة في الديوان وهي تدل على بدء  
عنده بالشعر ومحمد بن يوسف الطائي من ممدوحى ابي تمام وما رأينا  
ذكر حمص في بدء شعر البحتري مذكور في الديوان او ملازما لخباره  
وفي رواية ان البحتري لازم ابا تمام سنة واحدة فتكون تلك  
السنة ٢٢٨ على الاكثر او ٢٣٠ على الاقل وعاش البحتري بعدها  
٥٤ سنة على اقل تقدير .

ويزيد هذه الرواية صحة ان ابا تمام في آخر ايامه كان على يريد  
الموصل وكانت الموصل محل اقامته وبها مات والبحتري كان يحب  
اطراف الجزيرة العليا ويقصد امرائها في هذا العصر ولم نسمع ان ابا  
تمام جاء حمص او الجنوب في آخر ايامه .

اما ان البحتري دوس شعر ابي تمام فلا يعني هذا انه درسه في  
حياة ابي تمام بل اطالع عليه وقد جرب في اول عهده بالشعر ان يسير على  
خطاه وقد رسمها حتى اوصاه كما في جميع كتب الادب تلك الوصية التي  
تدل على ذوق ابي تمام في الدرس والشعر وهذه هي الوصية ...

« تخير الاوقات وانت قليل المهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة  
في الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه في وقت السحر  
وذلك ان النفس قد اخذت حظها من الراحة وتسطرها من النوم فاذا  
اردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا واكثر فيه عن  
بيان الصياغة وتوقع الكتابة وقلق الاشواق ولوعة الفراق واذا اخذت  
في مدح سيد ذي اباد فاشهر مناقبه واظهر مناسبه وابن معاله وشرف  
مقامه وتقاضى المعاني واحذر المجهول فيها واياك ان تشين شعرك

بالانفاظ الزرية وكن كانك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجسام  
 واذا عارضك الضجر فارح نفسك ولا تعمل الا وانت فارغ القلب  
 واجعل شهواتك لقول الشعر الذريمة لحسن نظمه فان الشهوة نعم المعين  
 وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فيما استحسنته  
 العلماء فاقصده وما تركوه فاجنبه ترشد ان شاء الله

فهل عمل البحتري بهذه الوصية ؟ لايسع القائل الا الاجابة بالسلب  
 فما ابعد الفرق بين طريقتي ابي تمام والبحتري وهذه التهم التي تسكال  
 للبحتري كان يلصقها به الموتورون الحساد نظير ابن الرومي الذي ابقى  
 لنا اثر منها :

والفتى البحتري يسرق ما قال ابن اوس في المدح والتشبيب

كل بيت له يوجد معناه فمعناه لابن اوس حبيب

فالبحتري معان كثيرة جيدة ليست مسروقة عن ابي تمام وان  
 كان قد تأثر به في اول امره حينما كان ناشئاً يأنم بالشعراء القدماء  
 وعندما اضطلع بالشعر اخط نفسه الطريقة البحترية التي هي نسيج  
 وحدها وهذه المعاني التي جهد صاحب الموازنة في ان يردّها لابي تمام  
 هي معان مشتركة لاسبيل الى نسبة السرقة اليها وهناك حقيقة من  
 الموافق ان تملن — الشعر شي ومعانيه شي آخر المعاني مشتركة كما  
 يقول ابن الاثير ولكن الشاعر الفحل الذي يتنخل القوالب والاساليب  
 في اظهارها وايس ابرع من البحتري في اختيار هذه الطرق اماوصية

ابي تمام وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجسام فقد عمل  
بها البحري وقصر ابو تمام فيها جدا ونظرة واحدة الى الديوانين  
يمان الحقيقة .



## هجاء البحتري

لا يزيد بهذا درس الهجاء عند البحتري وإنما تقصدا رواية مشهورة خلاصتها قبل ان يموت دعا بانه ابي الغوث وامره بان يحرق كل ما قيل في الهجاء لان الهجاء اذا بقي روي وثلاثا اعقاب بورثونهم العداوة والمودة واخشي ان يعود عليك من هذا شيء في نفسك او معاشك لا فائدة لك ولا لي فيه فعمل ابنه بشارته .

وفي ديوانه كثير من الهجاء فهل عمل ابو الغوث برأي ابيه لو عمل فمن اين هذا الهجاء؟ لناخذ شعر البحتري فنرى رأيه في الهجاء .

ونخش للهجاء قلت له      وخاف عندي جريرة البخل  
ودي لو قد كفيت من قبل      الدهر كما قد كفيت من قبلي  
حسبك ان تكرم المديح      وما يؤثر من شاهد ومن مثلي  
اغثناني الله بالكثير وما      اغنى عن الادنياء والسفل  
هذا رأي صريح يرجع باسباب الرأي بشار ان الهجاء مثل المديح  
وسيلة لكسب المال فليس هو عند البحتري كما كان عند ابن الرومي  
معاصره تفريج كربة او مظهر خاقي هو وسيلة وكفى ومن العلوم  
ان ابن الرومي هجا البحتري شر هجاء واقزعه وكان البحتري يرسل  
اليه شعره في الغزل وبالمال احيانا ويقول هذا هو الشعر فلا عجب

اذ رأينا البحتري في آخر ايامه يندم على هذا المظهر القبيح في شعره .  
اما ما نسب اليه من وصية ابي القوث فقد ذكره في شعره بقوله  
جعلت لساني دونهم ولو انهم اهابوا بسيفي كان اسرع من طرفي  
واني لئسم ان تركت لاسرتي او ابدت بقي في القراطيس والصحف  
وهو يعني بهذه الاوابد هذا النوع من الشعر الذي لم يكن يرضاه  
ونوفق بين صدق الراوية المزكاة في الديوان وبين ماله من الهجاء  
ان هجاءه كان اكثر من هذا واقزع وافحش واعني بالتفصيل ما هو في  
نسخة الاستانة ومخزوف من نسخة بيروت .

بهذا القياس يمكن ان نعلم صدق الروايات عن البحتري وعدمه  
وهو مظلوم جد مظلوم اذا صدقنا كل هذه الروايات عنه .



## ضياع البحري

حرفة الادب مشهورة فكيف بمن ورث الفقر ولزمه في ايامه الاولى  
وهنا يجتمع البحري مع كثير نوابغ الشعراء في اول امرهم فقد كان  
يده حاله شريدا طريدا يضرب في الافاق يلتمس الرزق وقد ورد  
كثير من شعره في هذه الحقبة وقد اتخذ ابا تمام اماما له .

تقاذف بي بلاد عن بلاد كاني بينها جمل شروذ  
اذا سجع الحمام هناك قالوا لفرط الشوق اين ترى الوليد  
وهي قصيدة تمبر عن نفسه في هذا العمر يقولها لرجل من نصيبين .  
وما زال ذلك رايه حتى ترك الشام الى العراق وهناك اثرى وجعل  
يذكر الضياع والخراج والتقسيط .

لقد تركت بقنشرين افئدة محرومة وعيوننا ذات تسهيد  
اما توجهت قصد الشرق معتسفا باليعملات حرون اللين والبيد  
وان صرفت ولم تصرف لباتقه عن الخراج فلم تصرف عن الجود

ثم تراه يعجب جدا أن يطالب بهذ الخراج وهذا التقسيط .  
وما انا والتقسيط اذ تكتبوتي وتكتب قلمي جلة الناس او بعدي  
سبيلي ان اعطى الذي تطلبونه وشرطي ان يجري علي ولا اجدي  
صحت اناسا اطلب المال عندهم فكيف يكون المال مطالبا عندي  
وزاه يذكر اولاد المدبر واخصهم احمد وهو الذي رتب الخراج ولا سبيا

في الثمور الجزرية والشام يذكر هذه الضياع ويطلب ان يرفع عنه الخراج .

ولم لا اغالي بالضياع وقد دنا علي مداها واستقام اعوجاجها اذا كان لي تربيمها واغتلاها وكان عليك كل عام خراجها

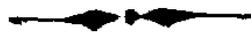
فمن اين جاءت هذه الضياع . ففي رواية الديوان انه اقطعها من اضياع الفتح بن خاقان وفي حذثة ان أمل جارية الفتح طالبت به في مجلس ابراهيم بن المدبر وقد قال البحتري فيها شعرا خالدا وفي رواية التنوخي ان الضياع قد اشتراها من الاموال التي اعطاه اياها الممستز ورواية الديوان رواية الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ وهو اقرب من كتب عن البحتري ومن المعلوم ان الفتح بن خاقان قتل مع المتوكل وان خلفاء المتوكل كانوا يحفون البحتري ولم يكن من الممقول ان يقطعوا البحتري اقطاعه كما اننا لم نسمع بالضياع عند البحتري الا بعد الممستز ويصرح التنوخي انه اشتراها وانها في منبج او باب منبج ويسمىها ياقوت باب السقيا .

وفي الديوان مغالطة . يقول البحتري لابي صالح :

وقد غدت ضيعتي منوطة	بحيث نيطت للناظر الزهره
اريد بالشعر ان تعود فما	اقطع فيما ارومه شعره
حكم من الله ارتضيه ولا	ترتاب نفسي في انه خيره
ان ردها السمي والدؤب فقد	وفيت في السمي اشهرا عشره
وان قضى الله ان تبين فقد	كانت فبانت من اهلها البصره

وبالرجوع الى التاريخ نعلم ان هذا (ابا صالح) ويسمى عبد الله بن محمد بن يزداد كان وزيرا للمستعين [ ٢٤٨ - ٢٥٢ ] اي قبل المعتز فالضيعة هذه ليست باب السقيا في منبج ويزيد هذا الامر تعقيدا انه تمثل بذهاب البصرة وكان ذلك في زمن المعتمد سنة ٢٦٥ فالظاهر ان كلمة [ ابي صالح ] خطأ صوابه [ ابن صالح ] وقد مر مثل هذا عند القول عن ( ابن عبادة ) بدلا من ( ابي عبادة ) ويقصد بـابن صالح احمد بن صالح بن شيرزاد القطريلي وكان كاتباً فاضلاً مجيداً في النظم والنثر ووزر شهراً للمعتمد ثم مرض ومات سنة ٢٦٦ فتكون الضيعة هذه باب السقيا في منبج ولا يجوز ان يكون ذهاب البصرة خطأ لانه جاء قافية ووزنا .

يلخص هذا ان الضيعة هي باب السقيا فقط وانها اتيتمت بعد المعتز وقد ورد ذكر هذه الضياع بعد البحثري اذ احتفظ بها ابناؤه وحفدته وقد ذكر المتنبّي حفيديه عبيد الله و ابا عبادة بن ابي العنوث ابن البحثري وذكر التنوخي في نشوار المحاضرة ان احد الولاة ( الحسن ابن ثوابة ) اراد ان ينتزعها من يد ابن ابنه ابي العنوث فجاءه وانشده شعر البحثري فردها عليه .



## شعر البحتري

من المتناقضات ان سهولة التعبير تصرف النقاد والادباء عن الدرس لعدم الحاجة اليه فتكون النتيجة ان هذه السهولة تكون مدعاة الى التعقيد والصعوبة وهذه تنطبق تماما على شعر البحتري فاننا لم نجد ادبيا ولا ناقدا درس شعر البحتري كما يجب الا اذا اعتبرنا اظهـار السمات نقداً فيدخل بذلك فصل للمرزباني في موشحه وكتيب للمعري باسم عبث الوايد اما بقية ما لدينا من هذه الاخبار في كتب الصولي والاعاني فلا يشفي غليلا ولا يقف باحت عند غاية ومتى علمنا ان شاعرا كالمثني درسه مايزيد على خمسين شاعرا لغويا وادبيا نعلم صعوبة درس البحتري بالنسبة الى سائر الشعراء من اهل طبقتة.

الاول ما يدهك من هذا الشعر كثرة وهذا المديح غير المنتهي فيه فقد رتب على نمط ايس حسب التاريخ ولاعلى القوافي ولا بالابواب بدأ بمدائح المتوكل ثم وزرائه ثم عماله ثم بالخلفاء من بعده ولكن على غير ترتيب حتى مدائح المتوكل فمنها في اول الديوان ومنها في آخره واغرب ما فيها ان بعضها مكرر بدون قصد. وبعضها متوج بالسبب في القول وبعضها بدون سبب وفيه من التشويش ما يذهل فلنبداً بجلاء بعض هذه الغوامض .

ان الديوان نسختان احدهما طبعة الجوائب في الاستانة وفي

آخرها) وهذا الكتاب نقل عن نسخة بخط علي بن عبد الله الشيرازي كان كتبها بمدينة تبريز في سنة اربع وعشرين واربع مائة في شهر رمضان ) وقد طبعت على اطلبها وفيها شأن طبع الجواب ورأي الشدياق ذكر كل شيء ، والثانية طبع المطبعة الادبية في بيروت وقد علق حواشيا وضبط شكلها رشيد عطية وهذه الطبعة احدث من الاولى وقد تمت عنها ولكن بعد حذف الايات التي لا يليق ذكرها وبعض الايات المغلقات اما التصحيف او تحريف او بعد معنى كاستمارة غريبة او ماشا كل على كل حال فهي ايات لا تعدى المائة وقد رأيت قصيدة المعز حين ولي الخلافة بالاجماع وفيها هجاء المسمين في تاريخ الطبري لا تنفق مع رواية الديوان وهي في الطبري اطول ويقول الصولي ان البحتري هو الذي جمع ديوانه وقد يكون اسقط منه ما لم يرضه وعلى كل حال فهذا الساقط من طبعة بيروت لا يبيح الدارس المنقب وعندني انه خيرا فعل لاننا في هذه الايام وقد تغيرت مجالسنا ومدارسنا لا يليق بنا ان نذكر هذه الاوساخ

ب - كثرة المدح . بمدوحو البحتري كثير فيهم ستة خلفاء عاصروهم وعاشروهم من المتوكل الى المعتمد ومدح وزراءهم وعمالهم وقوادم ومن يتصل بهم وقد عدت هؤلاء المدوحين فاذا بهم يقاربون المائة ومدحهم في رأي البحتري قوله :

بدأت بحق الاصدقاء ولم اكن لاجعله لفقاً لحق المعارف  
وساويت بين القوم في شكرسيهم وهم دوج من سوقة وخلائف  
هذه حقيقة بملتها الشاعر بدأ بالاصدقاء ثم بالمعارف ثم بالعظماء ثم

بالخلفاء ولم يكن هذا الترتيب مرعباً دائماً فهو يمدح الخليفة في الوقت الذي يمدح فيه وزيره أو من يقدمه إليه أما قوله ساويت بين القوم في شكر سببهم فهذا حقيقة ما كان المديح الاشكرا على السبب والسبب جزاء المديح ولا يبعد فهم هذا الدور المنطقي فالبحثري شاعر مؤدب يبيع ثمينات المكارم والمجد

وليس دوس هذا المديح يصعب فقيه تكرر وفيه مشابهة وفيه تمثيل والحقيقة ان المديح هو كل شعر البحتري يبدأ بالفزول حسب لاصول فهو رقيق جدا واحيانا مرقص يشوق الى اتمام القصيدة ثم يذكر فيها هذه الافكار المتسقة وهذه الممانى المتكررة واحيانا هذه الحادثات النادرة الوجود التي لاتعلماها الا بعد مراجعة الوف الصفحات في كتب التاريخ والادب وقد صرف مدة طويلة ما يزيد على ستين سنة وهو ينشد الشعر وقد جاب اكثر انحاء المملكة وعاصر خلفاءها وقوادها وسار معهم وحادثهم وذكر كل هذا في المديح وقد هلك الذين كانوا يفهمون ويدركون هذه الحادثات وليس من يعلمها الا ذو العلم الذي اوتي جلدا على المراجعة والتفتيح فالمدائح عند البحتري يشبه الرواية عند ادباء اليونان وغيرهم فيها القصة مشوقة للمطالعة والمقصود درس الاخلاق والطبيعة والنهي عن المنكر والحث على الاخذ بالمعروف واكثر هذه الصفات في مديح غير الخلفاء فقد قصر مديح الخلفاء على ما كان متعارفا وقصر القصائد لان الخلفاء لم يكونوا من العلماء ولم تتسع صدورهم لهذه الممانى البعيدة ولو اخذنا قصيدة واحدة للبحتري لرأينا فيها هذه الخصائص، لناخذ قصيدة في مديح المعتز بدون

ان تخير واتكن كيفما اتفق لنا :

ان سير الخليط حين استقلا  
تلك ايامنا الذواهب من اح  
وخيال أم منها على سا  
ما أوضع الهوى ولا نبي الخا  
سكن مغرم بهجري يزدا  
ومما اذا الاله ان اتعزى  
قد ابست الهوى وان كان ضرا  
وتندلت جاهداً للملكي  
كانت عوناً للدمع لما استهلا  
سن عيش مضي ودمع تولى  
عة هجر فقلت اهلاً وسهلاً  
ل الذين ضيع الهوى وتخلي  
د صدودا اذا انا ازددت وصلا  
عنه طول الحياة او اتسلى  
ونحمله وان كان ثقلاً  
وقليل من عاشق ان يذلا  
هذا تقرى باهو غزلهما ولا تجديه كلمة نائية لا تروك وتزيدك رغبة في هذا  
الاطلاع وهذه الرنة الموسيقية فهي بلا شك مجذبك للاطلاع ومواصلة  
القراءة وقد بلغ البحتري قصده . لنكمل فنجد ما يريد ان يقول =  
اصبحت رتبة الخلافة للمم  
جمع الله شملها في يديه  
وليت نصره الموالي فاعطت  
تربا لله منزلاً ومحملاً  
ورآه لها مكاناً واهلاً  
ه علو السماء او هو اعلى

هذا تاريخ ناطق منظوم اليست الخلافة للمستمين وان الموالي قاموا  
فنزعوها عن المستمين الى المعتز اليس البحتري يقول ان مدوحه اصبحته  
الخلافة منزلاً ومحملاً لانه كان في سرمر او كان المستمين في بغداد وبمذالك  
اصبح الخليفة بالاجماع لذلك قال جمع الله شملها في يديه ولا بد ان يذكر  
الحقيقة وهي ان الموالي (الأتراك) نصروه فاعطوه الخلافة وهي علو  
السماء او اعلى .

ثم يذكر صفات هذا الخليفة هو البحر والبدر على عادة المادحين  
 ثم وهو الشاب لابس حلة الوقار ثم يعود فيذكر انه في محض النجار  
 من قريش وبالطبع لا تدين العرب الا لهذا الحي من قريش ثم يذكر  
 آباءه عم النبي ( العباس ) والحبر ( عبد الله ابنه ) والسجاد ( محمد بن  
 عبد الله ) والكمال ( اظنه المنصور ) ثم يمين ذكر مناسك الحج  
 زمزم وافنية الكعبة والحجر والصفاء والمصلى ( هذا درس كامل في  
 مناسك الحج ) ثم يقول هؤلاء اركان الخلافة :

من ابى حبههم فليس من الله      هـ ولوصام الف عام وصلى

وهو يعني بمن يشايح غيرهم مذهباً وسياسة ثم يمايز بينه وبين  
 ( المستعار ) ويعني به الخليفة المستعين ويفاضل بين اخلاقها وبالطبع  
 يفضل المدوح على المستعين المخلوع المقتول ويختتمها بقوله

طالعك السعود وانسكب الفية      ث رذاذا في ساحتيك ووبلا

ويظهر ان المطر قد سقط في زمن الانشاد فاتخذها الشاعر وسيلة  
 للمقارنة بين غيث الخليفة وغيث الامطار ويفضل الخليفة ويقول :

عارضتك الانواء فيها سماحا      وحكتك السماء هطلا وسجلا  
 فهو يشبه السماء بغيثه والانواء بمطايها

هذه قصيدة في خليفة شاب لا يهتم الا بهواه وحب الحياة فلم يكن  
 يطيل المديح لئلا يضجره ولم يكن يغرب في المعاني لئلا يشغل على  
 ذهنه ومن اعرف من البحتري بالمعز واخلاقه .

اما اذا كان المدوح واسع الاضطلاع كثير جهات الرأي فانه  
 يتفنن في هذا المديح ويظهر من مكنونات نفسه ومن لمحات الشعر

مايزري بكل نقيص .

فعلمنا من غزله المسافة بين الشام والعراق :

بعثت طيفها الي ودوي      وخذ شهرين للمهاجري العتاق  
زار وهنا من الشام فحيا      مستهما صبا باهل العراق

وعلمنا مذهبه في الشرب :

لاشرب الراح او تجلو السماء لنا      شمس الربيع وتبهي الروضة الانف

والمذهب الفارسي ان يوم الشرب يوم المطر :

اري غيا تؤلفه رذاذ      واحسبه سيأتينا بهطل  
فمين الرأي ان تأتي برطل      فتشربه وتدعو لي برطل

وعلمنا ابا حيته وشهره :

مفرم بالدم اترع كاساً      ساطعاً ضوءها وانسف دنا  
حيث لا ارب الزمان ولا الم      قي الى العاذل المكتر اذنا

وزي نظرتة الصائبة في الغزل والتصابي :

ومع الشيب على علالته      مهلة للهو حيننا والغزل  
خيلت ان التصابي خرق      بعد خمسين ومن يسمع يخل  
نطلب الاكتر في الدنيا وقد      نبلغ الحاجة فيها بالاكل

وتقرأ ألمه من الحظ حين يصيح :

تخطي الدنيا المقادير ففي ال      جوم من لم يك في قعر النفق

اما هذه النظرات الصادقة النقية الفضية فاختيارنا لها يقلل من

قيمة الشعر لانها كلها منتقاة .

متى ارت الدنيا نياهة خامل  
 اذا المرء لم يجعل غناه ذريمة  
 فلا ترتقب الا خمول بنيه  
 ولولا البعد ما طاب التداني  
 فقد يتماشر الاقوام حيناً  
 بتلفيق التصنع والنفاق

او انه يعرب عن رأيه الانساني في مذاهب الحياة :

شرق وغرب فمهد المعاهدين بما  
 ولا تقل امم شتى ولا فرق  
 طالبت من ذملان الاينق الذمّل  
 فالارض من تربة والناس من رجل  
 يقول هذا مع حنينه الشديد الى الشام واهليها ولكن لمحات  
 الشاعر تملك عليه حواسه فيأتي بها متفرقة

وهذه النظرات الثاقبة في الحياة مبثوثة في خلال هذا المديح  
 الراقى النضر

ندى ايادي الزمان فينا فما  
 والظالم ان يقي الفقى سبباً  
 نذكر من دهرنا سوى نوبه  
 او ان يصيح بملء فيه:

اجدك ما المكروه الا ارتقابه  
 واما غره بشعره وهو كل ثرونه فنجده في كثير من المناسبات  
 وقد يختلفها واكثر ما يكون في المديح:

قصائد من لا يستعر من حلبيها  
 خوالدني الايام يبعثن مثالا  
 تخلفه محروما من العيش محرما  
 فما تدرس الايام منين مملها

وما أكثر ما كان يردد:

إذا محاسني الأثي ادل بها  
أهز بالشعر اقواما ذوي وسن  
علي نحت القوافي من مقاطعها  
وما علي لهم ان تفهم البقر  
ج . اعادة بعض القصائد .

البحثري غزير المادة سيال القريحة ولكن في مظهره عجا فاحيانا  
كان ينشد القصيدة مرتين كل مرة على حالة فهذه القصيدة التي يقول فيها  
جملت فذلك الدهر ايس عنفك من الحادث المشكور والحادث المبكي  
قالها اولاً في محمد بن يوسف الثغري لما سجن ثم لما زار المعتز في  
السجن اعادها بحروفها .

وعند ما سأله المتوكل ان يقول شعرا في صلته بالفتح بن خاقان  
اعاد الابيات التي قالها في نسيم ومطلعها .  
سيدي انت كيف اخلفت وعدي وتشاقلت عن وفائي وعهدي  
وقد غير فيها كلمة كما تقضي الحال وهي :

لا ارثي الايام فقدك يا فتى ح ولا عرفتك ما عشت فقدي

وكان قد بدل ( يافتح ) ب ( ما عشت )

ومن غرابة الاتفاق ان المتوكل والفتح ماتا معا فلم يعرف احدهما

فقد الاخر ..

او ان يعيد المعاني بنفسها انظر القصيدة التي شرحناها في اول

فصل المديح وقابلها بالقصيدة التي مطلعها

لي حبيب قد لجَّ في المهجر جدا واعد الصدود منه وابدأ  
تر أكثر آياتها مكرورة لا تغير فيها غير القوافي .

### ٦ - كثرة الاعلام

قلنا ان ممدوحى البحتري ينفون على المائة واكثرهم غير مشهور  
الا عند المتعمقين في التاريخ ففيهم الوزراء والعمال والقواد وهم عرضة  
للاشهرة ولكن هناك من الكتاب والمترجمين والمنجمين وجلساء الخليفة  
الذين اغفلهم التاريخ والشراح اصبحوا في هذا العصر من الالفاز  
وقد يصرف الاديب في التعرف الى علم جهوداً وقد لا يفوز بطائل .

ونذكر للتمثيل عرضاً ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم : ومن  
الاطلاع نعلم انه كان رئيس الشرطة وكان طائياً من بني مصعب .  
ومن هذا ابن الفياض ؟ كان في الكتاب وكان في القادة  
ومن محمد بن العباس الكلابي ؟ ومن هيثم بن هارون بن الممر  
ومن هذا الجرجرائي والذفاني والقبل الى مئات ممن يذكرون في  
روس القصائد فضلا عن غيرهم من الذين يمرون في القصيدة .

وهناك اعلام امكنة من الشام الى العراق الى أرض المعجم فالروم  
فارمنية فاثفور طبعاً الوف الاعلام التي تصرف من الجهود في مراجعة  
المعجات وكتب التاريخ ونقويم البلدان حتى تتمكن من الوقوف على  
هذه المعاني .

وهناك اسماء مرافق وخطط كالقصور والبرك والمنزهات والانهار  
ومنها ما يكرررها ويصفها حتى يقربها للاذهان ومنها ما تد معرفتها عن  
اذهان المتبحرين ونذكر مثلاً انه ذكر ( الزو ) مرات في مديح

المتوكل واعاده في مديح المعترز وفي دائرة المعارف الاسلامية بامضاء  
مرغليوث انه قصر والحقيقة انها سفينة كان يركبها الخليفة في رحلته  
هـ — اعمال دقيقة تتصل بالخلافة في القصر وفي الوزارة وفي  
الاعمال اهمها التاريخ وجاء البحتري يدونها منها العظيم الاهمية وهو  
مفصل في البحتري ومنها ما يخالف فيه التاريخ والعمدة الشعر فقد قال  
المؤرخون انه لم يكن حاضرا مقتل المتوكل وهو يقول .

ادافع عنه باليدن ولم يكن      ايثني الاعادي اعزل الليل حاسرة  
ولو كان سيف ساعة الفتك في يدي      درى الفانك العجلان كيف اساوره

ومنها ما هو قليل الاهمية كت قوله مثلا في مديح ابي عامر الخضر بن احمد

نبئت ان ابا المتمر زادم      نأراً عشية جاء طالب ثاره  
اتبمن عبد الله رمة احمد      والنقع يتبعهن هيج مثاره  
مابال قبر ابيكم في دورهم      غلقا وقبر ابيهم في داره  
الاتقدم شلوه وعديكم      نوت الحصى والضعف من مقداره

وقد عدت له مئات من مثل هذه الحادثات المبهات التي لو اتيج  
انا التبسط فيها لكان مديحا خاصا وتاريخيا وافيا لهذه الايام فضلا عن  
حادثات جاءت عرضا غير مقصودة او لمح اليها تلميحاً وقد غابت  
معرفة لبعدها عنا واغفال القدماء المعاصرين درسها وشرحها .

ز — البحتري طئي غفور بهذا النسب في كل شعره مها يتنوع لذلك  
تري انساب طي مبسوطه ومعادة في كثير من المناسبات  
ان قومي قوم الشريف قديماً      وحديثا ابوة وجدودا

وإذا ما عددت يحيى وعمراً وأبانا وعامراً والواليدا  
وعبيدا ومسهرأً وجديا وتدولا وبحترأً وعتودا

سادات نهان بن عمرو اقبلوا يرجون قحطبة لنا وشيبا  
وججاج الازد بن غوث حوله فرقا يهزون اللسحاء الشيبا  
والصيد من اود بن صعب انهم باتوا عليك حوادثا وخطوبا  
وحماة حمدان بن اوسلة التي امسيت مأ كولا بهم مشروبا  
وهكذا ينثر هذه الانساب نثرا في شعره واحيانا ينظمها كما مثلنا  
ومن انساب طي يصل بالطبع الى انساب اليمن فيفخر بها ويمدها  
حيا حياً .

وقد جرى في اول امره على طريقة ابي تمام في الفخر بالطائفة  
ثم اصبحت له عادة يقف فيها على حد حتى اذا وصف عربياً قيسياً  
يحتال حتى يصله بانساب اليمن اما بخؤولة او بسواها واذا ذكر الفرس  
لا يترك ذكر معونة الفرس لعرب اليمن في الجاهلية كما في صفة  
الايوان السينية كما سيجيء او يتصل بذكر هذه الاسماء واقعات  
وحادثات قديمة تذكرنا بشعر الفرزدق واضرابه نحتاج الى مراجعات  
كثيرة تزيد الاديب ثقافة

ح— عمود الشعر : يلزم هذا شعر البحتري خلافاً لشعر اءعصره  
العباسي وكل منهم له آفة الا البحتري فان شعره الحضري النفاذ النقي  
المشرق لا يشذ عن القواعد القديمة للشعر فهو بدوي وحضري في  
وقت واحد تقرأ كل هذا الشعر فلا تجد فيه كلمة نافية لفظاً ولا معقدة معنى  
وقد لا يحتاج الاديب المادي الى معجم خلافاً لابي تمام الذي يسمونه

امامة او لابن الرومي معاخره ومنافسه فكانه في بغداد او سرمر الإيخانات  
بهذه الفوغاء ولا يسمع كلامهم وهو يعب من هذه الفارسية ويتغنى  
بمخامدها ولكنه لا يستعمل كلمة واحدة مما كان متعارفا عند الكتاب  
والادباء واذا ذكر الكلمات اليونانية فانه يجهد ان يضعها في قوالب  
عربية ومعلوم انه لا يستعمل الا الاعلام منها يقول في هجاء متهم كما .

وقد بحث العلوم اجمع واستظبرت حفظا مقالة السلف  
ما اقتص واليس في القضاء وجابان وما سيرا من التنف  
وما حكاة ذرونيوس وبطليموس من واضح لهم وخفي

كما انه ليس يتمتع فان ذوقه العربي نقي نفاذ لا يهتم بالنقل بل  
الاجتهاد والقياس عنده مجال واسع:

ولا يؤخر شغل اليوم بذخره الى غد ان يوم الاعجزين غد  
فهو يقدر ان يقول كثيره العاجزين وهي الكلمة المستعملة  
ولكنه اراد الاعجزين فلم يمنعه الاستعمال

وهو جد بعيد عن التخريج الاعرابي والجوازات القبيحة وقد  
ترك لنا حماسة من مختار الشعر جمع فيها لستائة شاعر في الجاهلية  
والاسلام مما يدل على سعة اطلاعه ولا ازال اذكر بيتا يتمثل به  
العروضيون للربيع بن زياد العبسي

افبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الاطهار

فان وضع ابن زهير غير موزون فمنهم من وزنه بتصغير زهير وهو  
قبيح جدا ومنهم من رواه على لفظه وزاحف قبيحا والحقيقة ان

ان الشاعر قاله في ساعة غضب خرج فيها عن القواعد والاوزان وما  
لنا وله وجاء البحتري يرويه:

أفبعد مقتل مالك بمضيعة      ترجو النساء عواقب الاطهار  
ولا يعني هذا انه غير امين في النقل بل ان هذا الذوق ينبو عن  
هذا القبيح يلحق بالشعر. ونقصد ان البحتري تقى شعره وتخله حتى  
طرح منه كل ما يشتم منه الجفاء والتفور.

ولا يمكننا ان نفعل خاصية تلازم شعر البحتري وهي السلاسل  
الذهبية ونفى بها ان البحتري ينظم شعره متواصل الاجزاء متساوق  
التراكيب واظن انهم يذكرونها بالنسبة الى شعر ابي تمام الذي لم  
يكن يهتم بهذا التساوق والانسجام تأخذ قصيدة لابي تمام فتجد فيها  
السلسل الرائع التي ثم لا تلبث ان تراه يخرج حالا الى التعقيد  
والحوشي واحيانا الى غرابة الاستعارات اما البحتري فان جميع شعره  
يجري على نسق واحد قريب المأخذ آخذ بمضه برقاب بهض